

ماذا يَقصِد ترامب بِحَدِيثِهِ عَن هُجُومٍ وَشَيْكٍ عَلَى السَّعُودِيَّةِ



اطَّلَعَ العاهِل السَّعُودِيَّ الْمَلِكُ سَلْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ جَلْسَةَ مَجْلِسِ الْوُزَرَاءِ السَّعُودِيَّ الَّتِي انْعَقَدَتْ طَهُرَ الْيَوْمِ الثَّلَاثَاءِ عَلَى تَفَاصِيلِ اتِّصَالِهِ الْهَاتِفِيِّ الْمُطَوَّلِ مَعَ الرَّئِيسِ الْأَمْرِيكِيِّ دُونَالْدِ تْرَامْبِ، وَمَا تَمَّ خِلَالَهُ مِنْ بَحْثٍ لِلْعَلَاقَاتِ "الْمُتَمَيِّزَةِ" وَسُيْلِ تَطْوِيرِهَا فِي طِلِّ الشَّكَرَةِ الْاِسْتِرَاتِيجِيَّةِ بَيْنَ الْبَلَدَيْنِ.

وَكَالَةَ الْأَنْبَاءِ السَّعُودِيَّةِ الرَّسْمِيَّةِ "وَاس" الَّتِي بَثَّتْ هَذَا الْخَبْرَ، لَمْ تَكْشِفْ عَنْ فَحْوَى هَذِهِ الْمُكَالَمَةِ وَمَا وَرَدَ فِيهَا مِنْ مَطَالِبٍ ابْتِزَازِيَّةٍ وَقِدْحَةٍ، كَمَا أَنَّهَا تَجَنَّبَتْ ذِكْرَ مَضْمُونِ أَيِّ رَدٍّ سَعُودِيٍّ عَلَيْهَا، إِذَا كَانَ هُنَاكَ اِحْتِمَالٌ بِالرَّدِّ بِالْفِعْلِ، وَاكْتَفَتْ بِسَطْرَيْنِ فَقَطْ عَن هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، وَهَذَا أَمْرٌ غَيْرٌ مُسْتَعْرَبٌ فِي الْوِكَالَاتِ الرَّسْمِيَّةِ الْخَلِيجِيَّةِ عُمُومًا.

الرَّئِيسُ تْرَامْبُ لَا يَكْتُمُ سِرًّا، خَاصَّةً عِنْدَمَا يَتَعَلَّقُ الْأَمْرُ بِالتَّطَاوُلِ عَلَى حُلُفَائِهِ السَّعُودِيِّينَ وَالْخَلِيجِيِّينَ، وَالسُّخْرِيَّةِ مِنْهُمْ، وَتَوَجِيهِهِ الْاِتِّهَامَاتِ إِلَيْهِمْ، وَبِطَرِيقَةٍ فَوْقِيَّةٍ مُتَغَطَّرَةٍ، الْأَمْرَ الَّذِي لَا يَحْدُثُ مَعَ أَيِّ قِيَادَاتٍ أَوْ شُعُوبٍ أُخْرَى فِي الْعَالَمِ، إِلَّا مَا نَدَر.

الرئيس ترامب تجاوز كُـلَّ الخُطوط الحـمراء، وأُـصـول التـخاطُب المُتـبـعة مع المُـلـوك والرؤساء عـندما قال في خـِطابٍ له في تـجـمُّعٍ انتخابيٍّ في وِـلـاية فرجينيا "أنا أُـحـب السـعـودـيَّة، وقد أـجـرِيت انـتـمـاً لا هـا تـغـيـس" مُطـوِّلاً مع الملك سلمان هذا الصـباح، وفُـلـت له إنـتـك تـمـلـك تـرـيـلـيـونـات من الدُّولارات، وإِـنَّ وحده يـعـلم ماذا سـيـحـدُث للمملكة في حال تـعـرَّضت لهُـجـوم"، وأضاف "فُـلـت له أيَّها الملك ربَّما لن تـكـون قـادِراً على الاحتفاظ بطائـراتـك لأنَّ السـعـودـيَّة ستـتـعـرَّض لهُـجـوم، لكن مـعـنـا أنـتـم في أمانٍ تام، لكنَّنا لن نـحـصـُل في المُقـابـل ما يـجـب أن نـحـصـُل عليه".

فإذا كان الرئيس ترامب يُـحـب السـعـودـيَّة فـعـلاً، فلماذا يُـعـامـلها بهـذه الطـريقة الوـقـحة، ويـكـشـف أسرارها وبطـريقةٍ غير لائقة طابعها السُّخـريَّة والتـهـديد، وكيف سيـكـون حاله لو كان يـكـرـهها؟ ونحن نـجـزـم بأنَّه لا يُـحـبُّها، ويـسـتـخـسر عليها الثـروة، ويـعـتـقـد أنَّها لا تـسـدِّقُها، ومِن مُنـطـلقات عُـنـصـريَّته وكـراهيَّته للعـرب والمُـسـلمين.

الـلـافـت في هذا النـصّ المُـؤثِّق ليس طابعه الـابـتـرازيّ الـاسـتـخـفـائيّ فقط، وإنَّما أيضاً ما وـرـدَ فيه أكـثـر من مـرَّة، مِن أنَّ المملكة العربيَّة السـعـودـيَّة ستـتـعـرَّض لهُـجـوم، وأنَّ أمريكا هي الوـحـيدة القـادِرة على التـصـدِّى له، وحـمـاية مُـواطـنـيها وطائـراتـها.

لا نـعـرِف من الذي سيقوم بهذا الهُـجـوم الذي يـتـحدِّث عنه الرئيس ترامب وكأنَّه حـتـمـيٌّ، ويـؤـجـري في الـوـقـت نفسه بأنَّه وشيك، فهل يـقـصـد الرئيس ترامب إيران في هـذه الحالة؟ وإذا كانت إيران فـعـلاً هل ستقوم بهذا الهُـجـوم بشـكـلٍ مُـباشـرٍ واستباقيٍّ، أم كـرـدٍّ على عُـدـوانٍ أمريكيٍّ إـسـرائيليٍّ عليها يأتي بعد فـرـض الحـطـر النـفـطيّ الشَّهـر المُقـبـل بهـدف تـغـيـير النـظـام في طـهـران؟

الأمريكيُّون، والغـربيُّون عُمومًا، لا يـتـحدِّثون عن الحُرُوب بهـذه الصِّـراحة، إلا في حال وجود سيناريوهات جاهزة للتـنـفـيـذ، ومُـحـدِّد تاريخها باليـوم والسَّـاعة، فَهـُـم لا يـبـدُّون سـيـاسـاتـهم وحُرُوبـهم كـرـدٍّ فـعـلٍ مِثـلـما هو حال العـرب عُمومًا، وإنَّما وِفق استراتيجيَّات وبرامج عمل مُـحـدِّدَة مُتَّفـق عليها مِن قـبـل الدُّوَل العميقة، فالعُـدـوان على العـراق تـقـرَّر قبل خمس سنوات، وتـغـيـير النـظـام في ليبيا مِن خلال طائـرات حلف الناتو اعتُـمـد قبل ثـمـانـي سنوات، والتـحـصـير لتـفـجـير الأوضاع في سورية وتهيئة المـناخ إعلاميًّا وعسكريًّا جاءَ قبل ثلاث سنوات على الأقل، حيثُ بدأنا نُـشـاهد مـخـلاً للمـلـايين مِن الدُّولارات في قنواتٍ تـلـفـزيـونيَّةٍ ومُـحـف ومـطـبـوعات، وفـمـائـل مُـسـلَّحة.

الرئيس ترامب حَصلَ على 500 مليار دولار من المملكة العربية السعودية أثناء زيارته للرَّياض في آيَّار (مايو) عام 2016، ويبدو أنَّه يتطلَّع إلى ضِعْفِيَّ هذا الرَّقْمِ، ونَسْتَنْتِجُ ذلكَ مِن خِلالِ حديثه عن امتلاكِها "التَّريليونات" وليس المليارات مِنَ الدُّولارات، بالقياس مع أقوالِ سَابِقَةٍ لِه، تقول أنَّ بلادَه، أي أمريكا، يجب أن تَحْصُلَ على "حصَّة" من العَوائِدِ النفطيةِ السعوديةِ والخليجيةِ، وكثَمَنٍ لِلْحِمَايةِ لأنَّه لولاها لما استمرَّت قِياداتُ هَذِهِ الدُّوَلِ في الحُكْمِ أُسْبُوعًا ولسافر هؤلاء على الدَّرجَةِ السَّياحيةِ.

لَا نَعْتَقِدُ أنَّ هذا التَّطاولَ الابتزازيَّ من قِبَلِ الرئيس الأمريكيِّ على المملكة ودُوَلِ خليجيةٍ أُخَرَى سَيَتَوَقَّفُ عِنْدَ هَذَا الحَدِّ، وَلَا نَسْتَبْعِدُ أَنْ يَتَطَوَّرَ إِلَى أَسَالِيبٍ أَكْثَرَ وَقاحَةٍ إِذَا لَمْ يَجِدْ أَحَدًا يوقِفُه عِنْدَ حَدِّهِ بِقُوَّةٍ وَصَرَامَةٍ، وَمِنْ خِلالِ المُعامَلَةِ بِالْمِثْلِ، فالصَّيْنِ رَدَّتْ على عُقوباتِهِ بِفَرْضِ رُسُومٍ جَمركيةٍ على المَصَادِرِ الأمريكيةِ بالسَّلاحِ نَفْسِه، وأوروبا تبنَّتْ نِظامَ تبادُلٍ تجاريٍّ لَا يَعمِدُ على الدُّولارِ يُوَهِّلُهَا بالاستمرارِ في استيرادها لِلنَّفْطِ الإِيرانِيِّ ومُعَامَلاتٍ تجاريَّةٍ أُخَرَى، والباكستان رَفَضَتْ الابتزازَ وتلبيةَ مطالبِ الإدارةِ الأمريكيَّةِ في مُكافَحةِ الإرهابِ وَفَقًّا لِلسَّياساتِ والمَنطُورِ الأمريكيِّ، وَخاصَّةً في أفغانستان، رَغْمَ خَسارَتِها حِوَالِيَّ بِلْيُونِ دُولارٍ سَنَوِيًّا مِنَ المُساعَداتِ، وعِلاقةٍ استراتيجيَّةٍ امتدَّتْ لأَكْثَرَ مِنْ خَمْسِينَ عَامًا.

نُدرِكُ جَيِّدًا أَنَّ السَّعوديَّةَ لِيَسَّتِ الصَّيْنِ، وَلَا فِي قُوَّةِ الاتِّحادِ الأُوروبِيِّ، وَلَكِنْ هَذَا التَّطاولُ الأمريكيُّ يَزِدُّادَ وَقاحَةً وَابْتِزازًا، وَلَا بُدَّ مِنْ وَقْفِهِ، لأنَّه باتَ ضَخْمَ التَّكَلُّفَةِ مالِيًّا وَأَخْلاقِيًّا، وَيَدْخُلُ مَنَاطِقَ "مُحرَّمة"، وَيُشَكِّلُ إِهَانَةً لِلسُّلطاتِ السَّعوديَّةِ.

فَإِذَا كَانَ هَذَا الابتزازُ يَسْتَعِدُّ إِلَى "الْفَزْاعةِ" الإِيرانِيَّةِ، فَلتَذهبِ السَّعوديَّةُ إِلَى خِيارِ آخَرَ، وَهُوَ فَتْحُ قَنَواتِ الحِوَارِ مَعَ إِيْرانَ وَمَحَوَرِها، مِثْلَما فَعَلَ تَرامبُ نَفْسِه مَعَ كُورِيا الشَّمالِيَّةِ، وَقَبِلَها إِدارةُ أوباما مَعَ طِهْرانَ حَولَ أَزمَةِ البَرنامِجِ النووِيِّ، وَمِنْ وَراءِ طَهرِ الحَلِيفِ السَّعودِيِّ، الَّذِي باعَتِه صَفقاتُ أسلِحَةٍ بِأَكْثَرَ مِنْ 120 مليارِ دُولارٍ اسْتعدادًا لِلحَرْبِ الوَشِيكَةِ مَعِها، أَيْ إِيْرانَ.. فَهَلْ سَتَلْجَأُ السَّعوديَّةُ إِلَى "الخُطَّةِ B"، وَتَضَعُ حَدًّا لِهَذَا الابتزازِ، مِثْلَما فَعَلَتْ تُركِيا أخيرًا.. نَأْمَلُ ذَلِكَ، وَسَلْطَنَةُ عُمانِ جَاهِزَةٌ كَقَنائَةٍ وَسِاطَةٍ سَرِيَّةٍ إِذَا ما طُلِبَ مِنْها.